ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 11 أكتوبر 2022

ماكس بلاك ودونالد ديفيدسون حول الاستعارة

إميلي إيوب
ترجمة: أحمد فريحي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2022
All rights reserved © 2022

ماكس بلاك ودونالد ديفيدسون حول الاستعارة*

تأليف: **إميلي إيوب**[1]
ترجمة وتقديم: **أحمد فريحي**

* **مصدرُ المقالة**
Ayoub, Emily. « Black & Davidson on Metaphor ». In *Macalester Journal of Philosophy*, Article 6, Volume 16 Spring 2007, pp.56-64.

1 إميلي أيوب Emily Ayoub باحثة أمريكية، حاصلة على الدكتوراه في الفلسفة.

تقديمُ المقال:

كنا قد نشرنا مقاليْن مُترجمين؛ الأول للفيلسوف البريطاني **ماكس بلاك** تحت عنوان «الاستعارة»، والثاني للفيلسوف الأمريكي **دونالد ديفيدسون** تحت عنوان «ما تعنيه الاستعارات». واختيارُنا لهذين المقالين ليس اختيارا اعتباطيا، فبالنِّسبة إلى مقالة **ماكس بلاك**، يمكن اعتبارُها أهمَّ مقالة صادرة في القرن العشرين حول الاستعارةِ، إذ لا تكادُ تخلو دراسة حول الاستعارة من التفاعلِ مع مضامينها، كما أنَّ مقالة **دونالد ديفيدسون** هي أهمُّ مقالة استجابت للتفاعلِ مع مقالة **ماكس بلاك**. فبين **ماكس بلاك** و**دونالد ديفيدسون** النقدُ والنقد المُتبادل. فمقالة **دونالد ديفيدسون** انتقدت كلَّ نظرياتِ الاستعارة بما في ذلك نظرية **ماكس بلاك**، لكن هذا الأخير ردَّ عليها في مقالة خاصة، وهذا يبرزُ قيمة المقالتين.

قد يبدو فهمُ المقالتين المُترجمتين سابقا صعباً لمنْ لا يفهمُ قاموس الاستعارةِ من جهةٍ، ولمنْ لا يقدرُ على مُواجهة لغةِ الفلاسفة الكبار، لذلك آثرتُ أنْ أتناول المقالتين بشرح موجز لأهم الأفكار الواردة فيهما، وأعززَ ذلكَ بترجمة مقال ثالث أعتبره في نظري مقالا نقديا، وحاولتْ التوفيق بين نظرية **ماكس بلاك** ونظرية **دونالد ديفيدسون** من خلال نظريةٍ توفيقيةٍ واحدة هي للباحثة الأمريكية **إيميلي إيوب**.

يمكنُ حصرُ أهمِّ نظريات الاستعارة منذ **أرسطو** حتَّى يومنا هذا في ثلاثِ نظرياتٍ: **النظرية التبادلية**، و**النظرية التشبيهية**، و**النظرية التفاعلية**؛ فالأولى والثانية ترجعُ في الأصلِ إلى **أرسطو**. تقضي الأولى بأنَّ كلَّ معنى استعاري قابلٌ للاستبدالِ بمعنى حرفي؛ فالمعنى الاستعاري للأسدِ في استعارة «زيد أسد» يُستبدلُ بشجاعٍ كمعنى حرفي. وتقضي النَّظرية الثانية أنَّ كل استعارة يمكنُ ردها إلى تشبيه؛ لأنَّها مجرد تشبيه مقتضبٍ كما قال **أرسطو** في كتاب «الخطابة»، ويمكنُ أن ندرج الاستعارة عند البلاغيين العرب في هذه النَّظرية؛ لأن أغلبهم نظر إليها باعتبارها تشبيها. أمَّا النظرية الثالثة، فهي تعودُ في الأصلِ إلى الناقد الأدبي البريطاني **آيفور ريتشاردز** صاحب كتاب «فلسفة الخطابة»، والَّذي يُعتبرُ مرحلة مفصلية في تاريخِ الاستعارة منذ **أرسطو** حتى وقت صُدوره؛ لأنَّ صاحبَه هو الذي انتقد بشكل جذري مفهوم الاستعارة كما نُظر إليها ابتداء من اليونان إلى حدود أواخر القرن التاسع عشر. تقضي هذه النَّظرية التفاعلية **لريتشاردز** أنَّ المحمولَ (المستعار) يتفاعل مع الحامل (المستعار له) ويُنتجان معنى جديداً لمفردات الاستعارة، يختلف عن معانيها الأصلية، فلمَّا نقول: «زيد ذئب»، فالتفاعلُ هنا يعني ذئبية زيد، وأنسنة الذئب. فالذئب يفقدُ بعض الصِّفات الحيوانية، ويصبحُ مؤنسنا إلى حدٍّ ما، وزيدٌ يفقد بعض الصِّفات الإنسانية، ويصبحُ أقربَ إلى الذئب، فلا زيد في هذه الاستعارة أصبح له معنى زيد الحرفي، ولا الذئب أصبح له معنى الذئب الحرفي.

تأتي أهمية **ماكس بلاك** من كونه انتقد بشدة النَّظريتين التبادلية والتشبيهية، مع تطويره للنَّظرية التفاعلية. لقد بدأ مقالته بنقد تعاملِ الفلاسفة السَّيء مع اللغة عامة، والاستعارة على الخصوص، وكأن الاستعارة جريمة

لا ينبغي اقترافُها، وأنَّها تتعارض مع التفكير الفلسفي الجاد، ثم حدَّد الأسئلة التي يريد الإجابة عنها من منطلق أنَّها تتعلق بالنَّحو المنطقي للاستعارة من منطلق دلالي للألفاظ المرتبطة بها، ويمكنُ حصرها في: كيف نحدِّد الاستعارة؟ وهل توجد معايير للكشف عن الاستعارة؟ وهل يُمكن نقل الاستعارة إلى تعابير حرفية؟ هل تتعلق الاستعارة بالبديع وزخرف القول فقط؟ ما علاقة الاستعارة بالتشبيه؟ بأي معنى الاستعارة تكون إبداعية؟ وما الفائدة من الاستعارة؟ وكل هذه الأسئلة تنخرط في جواب عن سؤال واحد: ما هي الاستعارة؟

ولا يمكنُ حصر تناول المقالة على الجانب الدَّلالي فقط، فقد أشار **بلاك** إلى الجانب التداولي المتعلق بالسياقات المرتبطة بالاستعارة، والتي لا يمكن فهما إلاَّ في مجال تداولي خاص يرتبط بقائلها، وكيفية النطق بها، كما هو الحال لمَّا وصف الرئيس البريطاني **ونستون تشرشل** الزعيم الفاشي **موسوليني** بقول: «ذلك الإناء»، فهذه الاستعارة ترتبط بكيفية نطقها، وبنبرة **تشرشل** الخافتة والهادئة، وفي سياق محدد.

يتم التعرفُ عن الاستعارة حسب **ماكس بلاك** من خلال تضمن الجملة الاستعارية لكلمة تُحملُ على الاستعارة، فيما تبقى الكلمات الأخرى لها معان حرفية، وقد سمَّى الكلمة الَّتي لها معنى استعاري داخل الجملة **المحور**، وسمَّى باقي الكلمات الحرفية **الإطار**، ولهذا، فكلُّ جملة استعارية تتألف من **محور استعاري**، و**إطار حرفي**، فإذا قلنا على سبيل المثال: «اشتعلَ الرَّأسُ شيباً»، فالمحور هو «اشتعل»، الَّتي هي الكلمة المحمولة على الاستعارة، ويُسمِّيها البلاغيون العرب **القرينة**، والإطار هو «الرَّأس» و«شيبا»، باعتبارهما دالان دلالة حرفية لا استعارية. ويُقر **ماكس بلاك** أنَّ الجملة الاستعارية لا يُمكن بحال من الأحوال أنْ تشتمل على ألفاظ استعارية في مُجملها، اللَّهم إلاَّ إذا كانَ الأمرُ يتعلقُ بمثلٍ أو لُغز أو قصةٍ رمزيةٍ (أليغوريا).

إنَّ تغيير الإطار وبقاء المحور في الجملة الاستعارية من شأنه أن يغير المعنى أو لا يؤدي معنى استعاريا على الإطلاق، فإذا قلنا بدلا من «اشتعل الرأس شيبا» «اشتعل العقل نورا» أو «اشتعل القلب شوقا»، فهذا من شأنه أن يغير المعنى الاستعاري، وقد لا يؤدي المحور عمله الاستعاري إذا قلنا: «اشتعل الفرن نارا» لأن اللفظ هنا يحمل على الحقيقة وليس على الاستعارة. ولهذا، فتغير الإطار قد يفشل في إنتاج استعارة.

يرجع الخطأ في التصور التبادلي للاستعارة في كونه يقر بأن لكل معنى استعاري معنى حرفي موازٍ، فاستعارة «زيد أسد» تقوم مقام المعنى الحرفي «زيد شجاع»، وهذا غير صحيح في كل الأحوال، لأننا نحتاج في كثير من الأحيان للاستعارة لغلق الفجوات المترتبة على نقص المفردات، فلما نقول: «ساق المثلث» و«أرجل المائدة»...فهل يمكن الحديث هنا عن معان حرفية تقوم مقام هتين الاستعارتين؟ بالطبع لا؛ لأنَّنا لا نجدُ لفظا يدل على الخطوط المُكونة للمثلث إلا باستعارة «الساق» من الإنسان، ولا نجد لفظا يدل على ما تقف عليه المائدة سوى استعارة الأرجل من الإنسان، وبناء عليه، فلا وجود لمعنيين حرفيين

لهتين الاستعارتين. ومن هذا المنطلق، نسقط في كثير من الأحيان في سوء الاستعمال؛ أي نعطي شيئا صفة مستعارة من شيء لا علاقة بينهما.

كذلك، فالتصور التشبيهي، يحصل فيه الخطأ، لأن الشيء إذا شبه الشيء الآخر صارا شيئا واحدا، وهذا غير صحيح، فلما نقول: «زيد ذئب»، فهل زيد يشبه الذئب باعتباره حيوانا؟ وهل الذئب يشبه زيد باعتباره إنسانا؟ فنحن نعرف أن الذئب له مجموعة من الأوصاف لا يمكن أن تتوفر في زيد، من قبيل كونه آكلٌ للجيف، وله فروٌ وشعرٌ، ويمشي على أربع، ويعبر بالعواء، ويتبع الروائح في الاسترشاد...ومن هنا، فالاختلافات بين زيد والذئب أكثر بكثير من التشابهات. وعليه، فلا يمكن أن نعتبر الاستعارة تشبيها.

إذا أردنا فهم التصور التبادلي والتصور التشبيهي على أحسن وجه، يمكن اعتبار أن لدينا كلمات لها في الأصل معنى حرفيا، تدرج بداخلها كلمة لها في الأصل معنى حرفيا مما يؤلف جملة استعارية، فالكلمة التي أدرجت، والتي كان لها معنى حرفيا يصبح لها معنى استعاري، وهنا نكون أمام تعبير استعاري له معنى حرفي. ويمكن أن نستعين بلغة رمزية كما استعملها **ماكس بلاك** في الإحالة الأخير من المقالة كالآتي: لنرمز إلى المحور الاستعاري بالرمز E، ونرمز إلى الإطار الحرفي بالرمز F، ونرمز إلى الجملة الاستعارية بالرمز F(E)، ونرمز للدلالة الاستعارية للمحور بالرمز m^I(E)، ونرمز للدلالة الحرفية بالرمز m(X). فإذا قلنا «أسد» هو المحور الاستعاري (هو ما أشرنا إليه بالرمز E)، فإن المحور متضمن في الإطار الحرفي «زيد» (وهو ما أشرنا إليه بالرمز F)، وبذلك تكون الجملة الاستعارية هي: «زيد أسد» (أي العلاقة التي رمزنا لها بالرمز F(E)). فمحور هذه الجملة له معنى استعاري، وهو كون «زيد أسد» (رمزنا له بالرمز m^I(E))، ولها معنى حرفي هو كون «زيد شجاع» (رمزنا له بالرمز m(X)). فهنا نقوم بخمس عمليات للتعرف على الاستعارة بالمعنيين التبادلي والتشبيهي. وبلغة أوضح، فنحن أمام خمسة عناصر في هذا النوع من الاستعارة، وهي كالآتي:

1. المحور الاستعاري (الأسد)؛
2. الإطار الحرفي (زيد)؛
3. الإطار الحرفي يتضمن المحور الاستعاري (زيد أسد)؛
4. المحور له دلالة استعارية (زيد أسد)؛
5. المحور له دلالة حرفية (زيد شجاع).

أما التصور التفاعلي للاستعارة كما ورد مع **ريتشاردز**، فإنَّه بالنسبة **إلى ماكس بلاك** ففيه نوع من التعقيد؛ لأن تفاعل الحامل (المستعار له) مع المحمول (المستعار) من أجل إنتاج معنى جديد يختلف عن المعاني الحرفية التي كانت تتضمنها ألفاظ الاستعارة من قبل، فإنه لا يمكن أن يتم على أحسن وجه إلا بحصر القواسم المشتركة المرتبطة بكل من المحور والإطار مع استبعاد إحداها والإبقاء على الأخرى، والتي هي المعنى الجديد للمحور الذي يفرضه الإطار. فإذا قلنا: «زيد أسد»، فالقواسم المشتركة المرتبطة بزيد باعتباره إطارا، هي كونه إنسانا، قوي البنية، لا يهاب الأعداء، يدافع عن حوزة وطنه...والقواسم المشتركة المرتبطة بالأسد باعتباره محورا، هي كونه حيوانا، قوي البنية، يهاجم الغرباء عن القطيع، يدافع عن أشباله ولبواته...وما يمكن أن نستنتجه في المحور الجديد الذي هو الأسد من خلال الإطار الذي هو زيد، هو كونه **شجاعا**، فإذا رجعنا إلى تعريف الأسد، فليس معناه شجاع، كما أن زيد بالمعنى الحرفي ليس أسدا، وهكذا تفاعل المحور مع الإطار، فأنتجا معنى جديد تم استخلاصه من حصر القواسم المشتركة المرتبطة بكل منهما. هذا هو التصور الذي دافع عنه **ماكس بلاك**، والذي يفترض وجود معنى جديد في الاستعارة التفاعلية.

بالنسبة إلى بنية الاستعارة بالمعنى التفاعلي، فهي معقدة جدا، لنأخذ على سبيل المثال الاستعارة الآتية: «الإنسان ذئب»، يمكننا أن نصطلح على «الإنسان» **الموضوع الرئيسي**، ونصطلح على «ذئب» **الموضوع الثانوي**. فهذا النوع من الاستعارة يتطلب معرفة حول الذئاب، إذن، فهو يتطلب معرفة القواسم المشتركة المرتبطة بالإنسان من جهة، والقواسم المشتركة المرتبطة بالذئب من جهة ثانية. وعليه أن يستبعد منها ما لا يناسب الإنسان في الذئب، وما لا يناسب الذئب في الإنسان، وبذلك يصبح للذئب معنى جديد ليس له وجود في لغة الذئاب.

خلافا لتصور **ماكس بلاك**، ولكلِّ التصورات السابقة التي تدعي وجود معنى جديد في الاستعارة، اعتقد **دونالد ديفيدسون** أنَّ كل هذه نظريات خاطئة، فالاستعارة بالنسبة إليه ليست سوى المعنى الحرفي ولا شيء غير ذاك. فكل من ادعى وجود معنى جديد في الاستعارة، فعليه أن يضيف مفردا جديد في اللغة، فإذا كان **ماكس بلاك** وغيره يعتقدون أن الاستعارة التفاعلية ينتج عنها معنى جديد غير ذلك المعنى المعهود من قبل، فإن هذا المعنى الجديد يشترط إضافة مفردة جديدة في اللغة، وهذا غير صحيح. إن تصور **دونالد ديفيدسون** لا يمكن فهمه إلاَّ من خلال الرجوع إلى الزاوية التي ينظر من خلالها إلى الاستعارة، فهو يتناولها من منطلق تداولي؛ أي من خلال الاستعمال ومن خلال السياق التفاعلي بين المتحدث الذي يلفظ بالاستعارة والمستمع الذي يستقبل الاستعارة، وكل منهما ينطلق من نظريتين: نظرية سابقة ونظرية عابرة، ومن خلال التفاعل اللغوي داخل السياق وبواسطة الاستعمال تتلاشى كل معاني الاستعارة، ولا يبقى سوى المعنى الحرفي، وبدلك، فليست الاستعارة في أساسها سوى المعنى الحرفي.

لكي تتوضح الفروق والتقاطعات بين تصور كل من **ماكس بلاك** وتصور **دونالد ديفيدسون** حول الاستعارة، نلجأ إلى ما قدمته الباحثة الأمريكية **إميلي إيوب Emily Ayoub**، في هذا المقال تحت عنوان: «ماكس بلاك ودونالد ديفيدسون حول الاستعارة»، الذي تناولناه بالترجمة. فرَغمَ اقتضابه، فهو مصاغ بلغةٍ بسيطةٍ وسلسةٍ، ويحفل بأفكار دقيقة ومضافة من مقالات وكتابات أخرى لكل منهما. كما أنه محاولةٌ نقديةٌ لكلا التصورين، وفي نفس الوقت محاولةٌ إبداعية في قراءة تصور **دونالك ديفيدسون** من خلال تصورِ **ماكس بلاك**.

وإنْ كنا لمْ نقفْ عند تحليل أهم ما جاء في مقالة **دونالد ديفيدسون**، فإنَّ مضامين هذه المقالة المُترجمة ستعفينا من القيام بهذه المُهمة، لأنَّها ركزت بشكل أساسي على تصور **ديفيدسون** أكثر من تصور **ماكس بلاك**. وإليكم نص المقال.

تقديم:

تنظر جلُّ نظريات الاستعارةِ إلى ما يقعُ داخل الجملةِ الاستعاريةِ، وتفترض تغيراً في المعنى في الكلماتِ الاستعاريةِ. فكتابُ «النماذج والاستعارات» **لماكس بلاك** يتضمنُ ذلك. إنَّه يميز بين الكلماتِ الحرفيةِ والكلماتِ الاستعاريةِ في الجملةِ. وبناءً على هذا الرَّأي، يتفاعلُ الاثنان بطريقةٍ تجعل معنى الكلماتِ الاستعاريةِ يتغيرُ. ومن وجهةِ نظرٍ أخرى، تبنى **دونالد ديفيدسون** موقفاً جذرياً في مقالته «ما تعنيه الاستعارات» ليؤكد أنَّ الكلماتِ في الاستعارةِ لا تعني شيئاً سوى معناها الأصلي أو الحرفي. إنَّ تينك النَّظريتين تعانيان من مُشكلتين: **فماكس بلاك** فشلَ في تفسير كيفية تغيُّر الكلماتِ الاستعاريةِ في المعنى، من جهة، وإنْ كان **ديفيدسون** قد نجح، من جهة أخرى، في تفنيد جلِّ النَّظريات الَّتي تفترضُ وجود «معنى آخر» في الاستعارةِ، فإنَّه يقترحُ «استعمال» الاستعارة من أجلِ تفسير قُوتها على وجه ضعيفٍ. إنَّني سأوضحُ في هذه المقالة نظريتيْ كلٍّ من **ماكس بلاك** و**دونالد ديفيدسون**، وسأحاولُ التوفيقَ بينهُما أو دمج إحداهُما في الأخرى. إنَّنا سنجدُ أنَّ **ماكس بلاك** ينظر في اللغة ويجد تحولا في المعنى، بينما يؤكد **دونالد ديفيدسون** أن المعنى يظل حرفيا، لذلك يجب علينا بدلا من ذلك النظر فيما يحصل بين المتحدث والمستمع. إن فحص نظرية **ديفيدسون** اللاحقة في التأويل المحمول على نظرية **ماكس بلاك** في الاستعارة سيوضح «استعمال» **ديفيدسون** كما يسمح للمعنى الحرفي بالبقاء في الاستعارة.

«نسق القواسم المشتركة» لماكس بلاك

تمحورَ تصورُ **ماكس بلاك** حول «النَّحو المنطقي» للاستعارة» (**ماكس بلاك**، ص.25) وكيفَ يُحدِّدُ هذا النَّحو ما يستعملُه أو يؤوله المرءُ باعتبارِه استعارة. لقد بدأ من خلال طرح نحْوِ الاستعارة مباشرة، مميزاً بين «محور» و«إطار» الاستعارة. إنَّ محورَ الاستعارة هو الكلمةُ في الاستعارة الَّتي تُستعملُ استعاريا. «فلما نطلق على هذه الجملة السَّابقة استعارة، فإننا نقصد أن هناك كلمة واحدة يتم استعمالها استعاريا» (**ماكس بلاك**، ص.28). لكن يُطلق على باقي الجملة (أي تلك الكلمات الَّتي لمْ تستعملْ استعاريا) الإطار. فعلى سبيل المثال، لنعتبر الاستعارة التالية: «جون ذئب». فحسب وصفِ **ماكس بلاك** «جون» هو إطارُ الاستعارة، و«ذئب» هو محورُ الاستعارةِ، وهي الكلمةُ الَّتي «تم استعمالها استعاريا».

إنَّ وجهة نظرِ التَّفاعل الخاصة **بماكس بلاك** في الاستعارة هي «لما نستعملُ استعارة، تكونُ لدينا فكرتانِ عن شيئيْن مختلفيْن تتفاعلان معاً وتدعمهما كلمةٌ واحدةٌ أو جملة واحدة، فيكون معناهما نتاجٌ

لتفاعلهما» (**ماكس بلاك**، ص.38). وهكذا يُمكنُ القول إنَّ الفكرتيْن تأتيان من الاختلافِ الجليِّ بين مِحورِ واطارِ الاستعارة، ولأنَّ الفكرتيْن أو المعنييْن كانا مُتميزين قبلَ الاستعارةِ.

يمكنُ أن يتفاعلا في هذا السِّياق. وبالإضافة إلى ذلك، يذهبُ **ماكس بلاك** بعيداً ليُؤكد أنَّ محورَ الاستعارة يجبُ أن يكتسبَ معنى جديداً عند وضعِه في إطارهِ الجديد. إنَّ هذا المعنى «ليس معناه تماماً في الاستعمالاتِ الحرفيةِ، ولا كما المعنى الَّذي سيكونُ لأي بديلٍ حرفيّ» (**ماكس بلاك**، ص.39). إنَّ المعنى المُتسع يأتي من خلالِ ما يُسمّيه **ماكس بلاك** «نسقُ القواسم المُشتركة المُتربطة» (**ماكس بلاك**، ص.40): فلمَّا يتخيلُ المرء كلَّ تلك الأفكارِ الَّتي يربطها المرءُ بـ «جون»، وكلَّ تلك الأفكار الَّتي يربطها بـ «ذئب»، فإنَّ الأفكارَ غير المُشتركة تتلاشى، وما يتبقى هو قوةُ المِحور، أي تلك القواسم المشتركة المُتربطة بكلتا الفكرتيْن. هكذا تعملُ القواسمُ المُشتركة المرتبطة لأنَّ كلَّ تلك الصِّفات التي يُفكر فيها المرءُ حولَ الذِئاب وحولَ النَّاس الَّتي تجتمعُ معاً لإعطاءِ الذِّئب معنى جديداً. هنا حيثُ وضحَّ **ماكس بلاك** ذلك:

«لنفترض أنني نظرتُ إلى سماء اللَّيل من خلال قطعة من الزُّجاج المُشبع بالدُّخان، حيث تركت عليها خطوطا معينة واضحة، ثم سأرى فقط النجوم التي يمكن جعلها مستلقية على الخطوط التي تم إعدادها مسبقا على الشاشة. وسوف أنظر إلى النجوم التي أراها على أنها منظمة بواسطة هيكل الشاشة، يمكننا التفكير في الاستعارة على أنها شاشة و«نسق القواسم المشتركة المترابطة» للكلمة المحورية على أنها شبكة من الخطوط على الشاشة، يمكننا أن نقول إن الموضوع الرئيس «يرى من خلال» التعبير الاستعاري، أو إذا فضلنا، إن الموضوع الرئيس «يسقط على» مجال الموضوع الثانوي» (ماكس بلاك، ص.41).

الإطار: جون	المعنى الجديد للمحور المفروض بالإطار	المحور: الذئب
- كل القواسم المشتركة المرتبطة بجون **- كونه يعمل في أحد الأبناك** **- كونه له زوجة تدعى جودي** **-إنه يحب الشراب الاسكتلندي والصودا** **- كونه سيء في الاندماج**	- كثيفُ الشَّعر - شجاعٌ - يعني انعزالي	**- القواسم المشتركة المرتبطة بالذئب** **- كونه يفترس الحيوانات** **- كونه يتحرك في قطيع** **- كونه يرشد نفسه من خلال الروائح** **- كونه يتواصل بالعواء**

ومع ذلك، فليس من الجلي تواً بيانُ السَّبب الَّذي يجعلُ المحورَ هو الشَّاشة الَّتي تفرضُ القواسم المُشتركة غير المرتبطة على التلاشي وليس الإطار. فمن الجليِّ أنَّ الفكرتيْن لهما قواسم مشتركة تحتاج إلى التلاشي

من أجل أنْ يكونا «مُتفاعلين» معاً. فلمَّا نقول: «جون دئب»، هناك صفاتٌ مُحددة لكليهما يجبُ أنْ تتلاشى، فعلى سبيل المثال «مُغطى بالفراء» (فربما لا يكونُ ذلك باعتبار منْ هو جون) أو «لديه طريقة مع الكلمات». ومهما يكنْ، **فماكس بلاك** لا يقدِّم لنا سبباً لفهم كون مِحور الاستعارة أساسياً أو يسهلُ الوصول إليه بطريقةٍ أو بأخرى، وأنَّه قادر على التَّصرف بناءً على القواسم المُشتركة للإطار. إنَّه ليندهشُ المرءُ ممَّا إذا كانتْ هذه المشكلةُ تنبعُ من حقيقةِ أنَّنا سمحنا **لماكس بلاك** الافتراضَ الَّذي نعرفه بدون تفسيرِ كيفية التَّمييزِ بين المِحور والإطارِ.

نظريةُ «الاستعمال» عند دونالد ديفيدسون

يحاولُ دونالد **ديفيدسون** في مقالته «ما تعنيه الاستعارات» الصَّادرة سنة 1978 بيانَ أنَّ مُعظم النقاشاتِ الفلسفيةِ حول طبيعةِ الاستعاراتِ كانت مُجانبة للصوابِ في طرحِها معنى مختلف أو مُتسع أو «استعاري» فيما يخصُ الاستعاراتِ. إنَّه يُدافع بدلا من ذلك على أنَّ الاستعاراتِ لا تعني شيئاً سوى معناها الحرفيِّ، وأنَّها تكتسبُ قوتَها الحقيقيةَ من خلالِ استعمالاتِها. يُبيّن **ديفيدسون** أنَّ الاستعارةَ يجبُ أنْ تحتفظَ بمعناها الحرفيِّ من خلال سلسلة من الحُجج ضدَّ النَّظرياتِ الَّتي تفترضُ اختلافاً أو معنى جديداً أو توسعاً، بينما تفسيرُ **ديفيدسون** قد يُبيّن العديدَ من الأخطاءِ الَّتي ارتُكبتْ سابقاً في نظرياتِ الاستعارةِ، فإنَّ نظريتَه الخاصة، كما سأبيّنُ، تعاني من فُقدانِ الحُجةِ الدَّامغةِ لمَا يُسمّيه «استعمال» الاستعارةِ.

يتخذُ رفضُ **ديفيدسون** لنظرياتِ الاستعارةِ السَّابقة شكلَ نوعيْن من الهُجوم: يجادلُ الهجومُ الأول في أنَّ فرضَ المعاني المجازية أو الاستعارية على الاستعارة لا يعملُ أيَّ شيءٍ لتفسيرِ الاستعارةِ. إنَّه في الحقيقة، طرحٌ يدور في حلقةٍ مفرغةٍ بشكلٍ صارخٍ. ويجادلُ **ديفيدسون** في أنَّه إذا كانَ على المرء أنْ ينسبَ معنى استعارياً إلى الاستعارةِ، فإنَّ قوة التَّفسير ستعملُ في الاتجاهِ المُعاكس: إنَّ تسمية الجملة استعارةً يُفسّر لِمَ يبدو أنَّ لها معنى آخرَ أو لها «حقيقة استعارية».

«...بمجرد تقديم المعنى {الاستعاري} في الاستعارةِ فهو يُشبه تفسيرَ كيف تجعلُك حبوبُ منعِ الحملِ تنام بالقولِ إنَّ لها قوةً منومة. يُمكن تخصيص شروط المعنى الحرفيّ والحقيقةِ الحرفيةِ للكلماتِ والجملِ بغض النَّظر عن سياقاتِ الاستعمالِ الخاصةِ. وهذا هو سببُ امتلاكِ الدِّعاية بالنِّسبة لهم بأنَّ لها قوةً تفسيريةً حقيقيةً.» (ديفيدسون، 1978، ص.31).

يجبُ أنْ نتذكر أنَّ المعنى الحرفيَّ للاستعارة يجبُ أنْ يبقى بطريقةٍ ما جزءً من معنى الاستعارة. يتخذُ **ديفيدسون** هذا الموقفَ باعتباره هجومَه الثاني: إنَّ أيَّ معنى جديدٍ مخصوص بالاستعاراتِ سوف يَستبعدُ بالضَّرورة أيَّ علاقةٍ بالمعنى القديم. وهذا يقودنا إلى نتيجةٍ غير مقبولة؛ لأنَّه يُدافع على أنَّ الكلَّ يتفقُ على أنَّ

المعنى الحرفيِّ ضروريٌّ لفكِ شفرة الاستعارةِ. «فإذا كنَّا نفكرُ في الكلماتِ في الاستعاراتِ على أنَّها نتيجةٌ مباشرةٌ حولَ أعمالِها بحَمْلها على ما تُحمَل عليه بشكلٍ صحيحٍ، فإنَّه لا يُوجد فرقٌ بين الاستعارةِ وإدخالِ مصطلحٍ جديدٍ في مفرداتنا» (**ديفيدسون**، 1978، ص.32). هكذا يُجادلُ **ديفيدسون**، إذا فرضنا معنى جديداً أو موسعاً للكلمةِ الاستعاريةِ، فإنَّنا بدلاً من ذلك نخلقُ كلمةً جديدةً في المفرداتِ. وأنَّه بدونِ الارتباطِ بالمعنى الأصليِّ للكلمةِ، فإنَّنا ببساطةٍ نُخصِّص معنى حرفياً جديداً ونؤكدُ شرطاً يُحملُ عليه هذا المعنى الجديد. إنَّنا لا نصنعُ الاستعارة.

إنَّنا ننتظرُ حجةً دامغةً من أجلِ الكيفية الَّتي تعملُ بها الاستعارةُ. يُؤكِّد **ديفيدسون** أنَّ الاستعارةَ تستمدُ قوتَها فقط من **تأثيرها** على المُستمع. لقد ارتكبتْ النَّظرياتُ السَّابقةُ خطأَ تحديدِ هدفِها على وجهٍ غيرِ صحيحٍ، هذا على الرّغم من أنَّ **الكيفية** الَّتي توصلوا بها إلى استنتاجاتِهم ليستْ بعيدة المنالِ. لقد حاولوا جاهدين أنْ يجعلوا حدْسهم بأنَّ الاستعارةَ مختلفةٌ بطريقةٍ ما تتوافقُ مع هدفِهم المتمثل في إيجاد الاختلافِ في اللُّغة. «الخطأ الشائعُ هو ربطُ مضامينِ الأفكارِ الَّتي تُثيرها الاستعارةُ وقراءةُ هذه المضامين في الاستعارةِ نفسِها» (**ديفيدسون**، 1978، ص.43). لذلك، فبدلاً من النَّظر داخلَ الاستعارةِ نفسِها، يجبُ أن ننظرَ إلى أولئك الَّذين **يستعملون** اللُّغة لإحداثِ **تأثيرات** على أولئك المُستمعين. فالمستمعُ «يُنبَّهُ» و«يُحَثُ» على تمييزِ شيءٍ ما، باعتبارهِ نتيجةً لاستعمالِ الكلماتِ مع معانيها الحرفيةِ. كما أشار **ديفيدسون** سابقاً، «الاستعارةُ عملٌ من أعمالِ أحلام اللُّغة، وبما أنَّها كسائرِ أعمالِ الأحلام، فإنَّ تأويلَها ينعكسُ على المؤوّلِ مثلما ينعكسُ على صاحبِها» (**ديفيدسون**، 1978، ص.29). سيكونُ تعليقُ **ديفيدسون** مفيداً لمَّا نناقشُ نظريتيْه «السَّابقة» و«العابرة».

لا يزالُ حتَّى الآن لدينا بعض الصُّعوبات الَّتي يجبُ أخذها بعينِ الاعتبارِ. فحتَّى لو نجح **ديفيدسون** في إقناعِنا أنَّ الكلماتِ الواردةِ في الاستعارة لها معناها الحرفيّ فقط، فإنَّ تفسيرَه أنَّ الاستعمالَ هو ما يُعطينا استعارةً قاصرة. فإذا لمْ يكنْ هناك، كما يدعي «دليلا لتحديد «ما تعنيه» أو «تقوله» الاستعارة» (**ديفيدسون**، 1978، ص.29)، فإنَّنا ما زِلنا لا نملكُ فكرةً واضحةً عن كيفيةِ تحديدِ متى يقومُ شخصٌ ما بإنشاءِ استعارةٍ ومتى يقوم بإنشاءِ توكيد، أو في الواقع، متى يكذبُ علينا ببساطة. فعلى سبيل المثال، إذا قال لنا أحدُهم «جوانا ساحرة»، فإن **ديفيدسون** لا يُفسِّر كيف يُمكنُ أنْ يُفسِّر الاستعمالُ الطريقةَ الَّتي كنَّا نتعاملُ بها مع الجملةِ، لأنَّ هناك حالاتٍ نخطئُ فيها. فعلى الرَّغم من أنَّ **ديفيدسون** يريدُ أنْ يقولَ إنَّه لا توجدُ رسالةٌ قابلةٌ للتأكيدِ أو مُؤكدة للاستعارةِ، فإنَّه من المُؤكد سيعترفُ بحدوثِ فشلٍ، حتَّى لمَّا تم «استعمال» الكلماتِ بطرقةٍ مختلفةٍ. إذا أخذَ المُستمعُ الجملةَ على أنَّها حرفيةٌ وكانَ «مُنبَّهاً» إلى إدراكِ شيءٍ ما، مع تصديقِ شيءٍ آخر، فإنَّنا سنحتاجُ إلى تفسيرٍ أكثر شموليةٍ لمَا يعنيهِ **ديفيدسون** بكلمةِ «استعمال» إذا أردنا فهمَ نظريتِه، هذا بالرَّغم من

تفكيكه الشَّاملِ لجميعِ نظرياتِ المعنى الأخرى «الموسعة» أو «المختلفة» أو الاستعارية». سنرى أنَّ تفسيرَه للنَّظريتيْن السَّابقة والعابرة يُمكنُ أن يُوضِّحَ هذه المُشكلة.

إجاباتُ ماكس بلاك والمُشكلاتُ المتبقيةُ

يرُدُّ **ماكس بلاك** على **ديفيدسون** في مقال «كيف تعملُ الاستعارات: ردٌّ على **دونالد ديفيدسون**» الصَّادر سنة 1979، ويُشيرُ إلى أنَّه على الرَّغم من أنَّ **ديفيدسون** يقومُ بعمل صارمٍ في رفضِ جُلِّ نظرياتِ الاستعارةِ، إلاَّ أنَّه يفشلُ في إنتاجِ نظريةٍ دامغةٍ ومتماسكةٍ خاصةً به. لقد رأى **ديفيدسون** أنَّه نظراً لعدمِ وجودِ محتوى معرفيٍّ مُحدَّدٍ للاستعارة، لأنَّ التشابهات تسمرُ إلى ما لا نهايةٍ، ولأنَّ محاولةً تفسير أو إعادةَ صياغةِ الاستعارة تقتُلها بالضَّرورة، فإنَّ صانعَ الاستعارةِ لا يُحاول قولَ أيِّ شيءٍ على الإطلاقِ. إنَّه فقط «يُنَبِّهُ» المستمعَ إلى إدراكِ شيءٍ بينَ الاثنين. لأنَّ الاستعارةَ لا تعني شيئاً سوى المعنى الحرفيِّ، وأنَّ الاستعارةَ خاطئةٌ بشكلٍ جليٍّ، فإنَّ أيَّ «حقائق» يتمُ التَّوصلُ إليها من جانبِ المستمعِ هي مجردُ اتفاقٍ. ولهذا السَّبب أيضاً أنكرَ **ديفيدسون** الحقيقةَ الاستعاريةَ منذُ ذلك الحين؛ لأنَّه لا يُمكنُ أنْ يكونَ أيُّ اقتراحٍ في الاستعارةِ قد تكونُ له قيمةٌ صادقةٌ أو كاذبةٌ. إذن، فما الَّذي يفعلُه المتحدثُ لمَّا يستعملُ هذه الكلماتِ بطريقةٍ محددةٍ؟ يدَّعي **ديفيدسون** أنَّ المُتحدث فقط لا يُمكنُه تأكيد أيَّ شيءٍ لأنَّ الطريقةَ الَّتي ينقلُ بها (الاستعارة) تتركُ احتمالاتٍ للتأويل وكأنَّها لا نهاية لها.

ومع ذلك، فإنَّ هذا لا يُثبتُ أنَّ المُتحدثَ لمْ يكنْ يُحاولُ تأكيدَ شيءٍ ما باستعاراتِه، وعلاوة على ذلك، كما يُشيرُ **ماكس بلاك**، لدينا سوءَ فهمٍ في الاستعارة، خاصة إذا كانتْ هناك حاجةٌ إلى «الفروق الدَّقيقة والتَّقدير» في تفسيرِ الاستعارةِ. فكما أكدَّ **ديفيدسون** سابقاً، قد يكونُ الطَّريق الأفضلُ هو تأويلُ **فيدغنشتاين**: فعلى الرَّغم من أنَّ الاستعاراتِ لا **تقولُ** شيئاً، إلاَّ أنَّها تهدفُ إلى **بيانِ** شيءٍ ما للمستمعِ. يستعملُ المُتحدثُ المعانيَّ الحرفيةَ للكلماتِ بطريقةٍ مُختلفةٍ لمحاولةِ إظهارِ فكرةٍ للمستمعِ. أتصورُ «تنْبيه» **ديفيدسون** هو نوعٌ من «بيان» **فيدغنشتاين**: فنحنُ نصْطدم حرفياً بالمستمعِ في الاتجاهِ الصَّحيح ليرى شيئاً مثيراً للاهتمامِ. ومع ذلك، لا يزالُ المُتحدثُ يفكرُ في ماهيةِ هذا الشَّيء المُثيرِ للاهتمامِ قبلَ تنبيه المُستمعِ.

يبدو أنَّنا وصلنا إلى النَّفقِ المَسدودِ. فقد أعطتنا نظريةُ التَّفاعلِ عند **ماكس بلاك** القليلَ من التَّبصُر في كيفيةِ عمل الاستعاراتِ. يبدو أنَّ تفسير محورِها وإطارِها منطقا سليما، لكنَّنا غيرُ قادرين على فكِّ النَّظرية بما يكفي لتفسيرِ كيف يُوجِّهُ المحورُ تلك القواسم المشتركة المُرتبطة لتركِها تسقط وتبقى في «عدسة» المُستمع. يعارضُ **ديفيدسون** ادعاءَ **ماكس بلاك** وادعاءاتِ كثيرين من خلالِ تحويل محور دراسِتنا من المحتوى الَّذي تنتمي إليه الاستعارة إلى ما يحدثُ بين المُتحدث والمُستمع عندما **تُستعملُ** الاستعارةِ. ومع

ذلك، يظلُ **ديفيدسون** غامضاً بشأنِ ما يستلزمُه الاستعمالُ، لأنَّ الاستعمالَ وحدَه لا يُمكنُ أنْ يصفَ بدقةٍ ما يحدثُ بين المُتحدِّث والمُستمع، على الرَّغم من التَّحول في هدفنا الوصفي.

أودُّ أنْ أقترحَ أنَّ **ديفيدسون** و**بلاك** قد يجدانِ أنَّ نظريتيهما متقاربتان ممَّا تبدوانِ عليه لأولِ وهلة. فنظريةُ **ماكس بلاك** لا تنكرُ أبداً أنَّ المعنى الأصليَّ مطلوبٌ في تأويلِ الاستعارةِ. فعلى الرَّغم من أنَّ الكلماتِ تحتفظُ بمعناها الأصلي، إلاَّ أنَّها مُرتبطةٌ بفكرةٍ مُختلفةٍ يُقدِّمُها السِّياقُ. من المُمكن أنْ يكونَ هذا هو ما يقصدُه **ديفيدسون** بالاستعمالِ، لكنَّه فشلَ في توضيحِ طريقةِ استعمالِه. ما نحتاجُه من **ديفيدسون** هو سردٌ أكثر تفصيلاً لمَا قد تكونُ عليه شروطُ الاستعمالِ. فعلاوة على ذلك، لا يبدو أنَّ نسقَ **ماكس بلاك** للقواسم المُشتركة المُرتبطة (أي كلَّ تلك الصِّفات الَّتي يُفكر فيها المرءُ حول الذِّئب وحول النَّاس، والَّتي يُمكنُ أن تُتخذ لإعطاءِ الذِّئب معنى جديداً) لا **تُغيِّرُ** تعريفَ «الذئب» كما يعتقدُ **ديفيدسون**، ولكنَّه ببساطةٍ جلبَ إلى السَّطح تلك التَّعريفات المُشتركة مع الإنسانِ. لا يُوجدُ معنى **جديد**، لكنْ أجزاء معينة من المعنى تلك الَّتي لا تشتركُ مع «الإنسان» تتلاشى في الوقت الحالي. وباختصارٍ، تظلُ مُشكلتنا الرئيسةَ هي الافتقارُ إلى تعريفِ الاستعمالِ، والشَّكُ في أنَّ نسقَ **ماكس بلاك** للقواسم المشتركة العامة المرتبطة في كونِه قد يُساعدُنا في وضعِ تعريف «استعمال» يُحْمَلُ على نظريةِ **ديفيدسون**.

نظريتا ديفيدسون السَّابقة والعابرة

لبيانِ وجهة نظر **ديفيدسون** حولَ الاستعارة، يُمكننا الانتقال إلى تأكيداته الواردة في مقاله «اضطراب المرئيات اللَّطيف» الصادر سنة 1985، وهي دراسة تعنى بالتَّأويل والتَّرجمة. فعلى الرَّغم من أنَّه كُتب بعد مقال «ما تعنيه الاستعارات»، فقد توسَّع في نظرية أكثر فهماً للغة مما كان مندهشاً في المقال السَّابق. لقد شرع في بيان أنَّ أي فحصٍ للغة لنْ يمنحَنا مفاتيحَ للتأويل أو المعنى. فبالنِّسبة إلى **ديفيدسون** «لا ينبغي السَّماحُ لأيِّ شيء بمحو أو طمسِ التَّمييز بين معنى المُتحدِّثِ والمعنى الحرفي» (**ديفيدسون**، 1985، ص.474). فمن خلالِ القيام بهذا التَّمييز يصفُ **ديفيدسون** المعنى الحرفي، أو كما سيُطلق عليه الآن «المعنى الأول» باعتباره الأول في ترتيب التَّأويل. وفي بعض الأحيان، يجبُ فهمُ سياق الجملة قبل أن نتمكنَ من اختيار المعنى الأول للكلماتِ. يؤكد **ديفيدسون** أنَّ نوايا المُتحدِّث تجعلُ الاختيارَ أكثر وضوحاً.

قبل أنْ نفهمَ نوايا المُتحدِّثِ من أجل استخلاص معناه الأول، يجبُ أنْ يقدم **ديفيدسون** شرحاً لمَا يحصلُ بين المُتحدِّث والمؤوِّل. إنَّه يقترح ما يلي: يتوفرُ كلٌّ من المُتحدِّث والمؤوِّل على ما يُسمِّيه **ديفيدسون** نظريتيْن سابقة وعابرة. بالنِّسبة للمُتحدِّث، النَّظريةُ السَّابقة هي ما يعتقدُ أنَّ نظرية المؤوِّل السابقة عليه، والنَّظرية العابرة هي النَّظرية الَّتي ينوي المؤوِّل استعمالَها. وبالنِّسبة إلى المؤوِّل، فالنَّظرية السَّابقة هي النَّظرية

الَّتي يستعملُها مسبقاً لتفسير تلفظاتِ المُتحدِّث. والنَّظريةُ العابرة هي النَّظرية الفعلية الَّتي يستعملها لتأويل المُتحدِّث. إنَّ النظريتيْن السَّابقتين ليستا مشتركتيْن بين المُتحدِّثِ والمُؤوِّل بالضَّرورة، لأنَّ أيَّ نظريةٍ سابقة تدخلُ في نظريةٍ عابرة تتغيرُ دائماً أثناءَ التَّفاعلِ اللُّغوي. لمَّا تتلاقى النَّظريتان العابرتان سواءٌ عن طريق الخطأ أو على سبيل القصدِ، فإنَّه يُنسَبُ ذلك فقط إلى النَّظريتيْن العابرتيْن المتغيرتيْن، والَّتي لمْ تُعرف مسبقا.

	النظرية السابقة	النظرية العابرة
المتحدث	**ما يعتقده المتحدث أن يكون بالنسبة للنظرية السابقة للمستمع**	**النظرية التي ينوي المتحدث بالنسبة للمستمع استعمالها في تأويله**
المُستمع	**النظرية التي أُسست من قبل المستمع في السَّابق من أجل الاستعمال في التأويل**	**النظرية الفعلية التي يستعملها المستمع من أجل تأويل المتحدث**

أودُّ أنْ أقترحَ أنَّ تصوُّر **ديفيدسون** للنَّظريتيْن السَّالفتين السَّابقة والعابرة للمتحدثين والمستمعين يوفرُ لنا تصوراً أكثر فهماً لمَا يقصدُه بـ «استعمال» الاستعارةِ. لقد كان عدمُ رضانا العام عن ادعاءِ **ديفيدسون** بأنَّ «الاستعمال» يُشكِّلُ استعارةً وليس تغييراً في المعنى هو أنَّه فشلَ في تقديم تفسيرٍ لِمَا يحصلُ بين المُتحدِّث والمُستمعِ حتَّى يكونَ هناك «تأثير» على المُستمع. وكما أشارَ **ماكس بلاك** في ردِّه، لأنَّ الاستعارات هي نوعٌ من أفعالِ الكلامِ، ولأنَّها تحدثُ بين شخصيْن، فلا بُدَّ من وجودِ حالةٍ من التفاعلِ المُتوقعة أو المرغوبة. إنَّ ما نطلبُه من **ديفيدسون** هو توضيحُ كيفيةِ ظهورِ هذه الحالة؛ أيْ التأثير على المُستمعِ الَّذي تم إنشاؤه من خلال «استعمال» المُتحدث من المعاني **الحَرفية** للكلماتِ.

هناك سيناريو قد يُساعدنا على حَمْلِ نظريتي **ديفيدسون** السَّابقة والعابرة على ما يحصلُ في الاستعارةِ. سنستعملُ من جديدٍ الاستعارة «جون ذئب» في السِّيناريو الخاص بنا. إنَّ النَّظرية السَّابقة للمُتحدث هي ما يعْتقدُه المتحدثُ أنْ تكون عليه نظريةُ المُستمع في التَّأويل. وهكذا يعتقدُ أنَّ المُستمع له معنييْن حَرفييْن مُحددَيْن لكلٍّ من «جون» و«ذئب». والنَّظريةُ السَّابقة للمُستمع هي ما **يعتقدُ** أنَّه يستعملُه في التَّفاعلِ. وذلك لأنَّ التفاعلاتِ محددةُ السِّياقِ بالنسبة **لديفيدسون**، ولا يستطيعُ المُستمعُ أنْ يفترضَ مُسبقاً أي نظريةٍ بخلافِ المعنييْن الحرفييْن لكلمتي «جون» و«ذئب». ومع ذلك، لمَّا نحاولُ تفسير النَّظريتيْن العابرتيْن نواجهُ بعضَ الصُّعوبات. فالنَّظريةُ العابرة عند المُتحدِّثِ هي النَّظريةُ التي **ينوي** المُستمعُ استعمالَها. إذا كانَ المعنيان الحرفيان للكلمتيْن في الاستعارةِ ليسا سوى حرفيين، فلا يُمكنُ أنْ تكونَ النظريةُ العابرةُ للمتحدِّثِ مختلفةً عمَّا كانتْ عليه نظريتُه السَّابقةُ، حيث إنَّ المعنى الأول أو الحرفي تمَّ إنشاؤُه مسبقاً. وبالتالي، فإنَّ المُتحدِّثَ ينوي أنْ يتمَ أخذُ «جون» و«ذئب» حرفياً على أنَّهما «جون» و«ذئب»، ولا تختلفانِ عن نظريتِه السَّابقة

أعلاه. إنَّ النظريةَ العابرةَ للمُستمعِ هي ما **يستعملُه** فعلياً من أجل تأويلِ الاستعارةِ. لكنْ مرة أخرى، تظهرُ المُشكلةُ نفسُها لمَّا ندركُ أنَّه وفقا **لديفيدسون**، فإنَّ معنى الاستعارة ليس سوى المعنى الحرفيِّ، والَّذي كان أيضاً نظريةَ المُستمعِ السَّابقةِ. يجبُ أنْ نجدَ طريقةً لوصفِ الاختلافِ في النَّظريتيْن السَّابقةِ والعابرةِ مع الاحتفاظِ بالمعنى الحرفيِّ للكلماتِ في الاستعارةِ.

	النظرية السابقة	النظرية العابرة
المتحدث	**يعتقد نظرية المستمع أن تكون بجعل معنى كل من «جون» و«ذئب» حرفيين**	**ينوي المستمع أن يستعمل المعنيين الحرفيين لكل من «جون» و«ذئب»، لأن الاستعارة ليست سوى المعنى الحرفي**
المستمع	**لديه معنيين حرفيين لكل من «جون» و«ذئب» راسخة مسبقا والتي ينوي استعمالها**	**يستعمل في الواقع معنيي «جون» و«ذئب» من أجل تأويل الاستعارة**

نحنُ نعلمُ أنَّ النَّظريةَ العابرةَ للمُتحدثِ تعتمدُ على سياقِ التَّفاعلِ اللُّغويِّ؛ لأنَّه كما ادعى **ديفيدسون**، تقومُ النَّظريتيْن العابرتيْن على التَّفاعلاتِ اللُّغوية الفرديةِ. فكما رأيْنا من قبلُ، «جوانا ساحرة» يُمكنُ اعتبارُها استعارةً أو تأكيداً قائماً على السِّياقِ. وبالتَّالي، فإنَّ النَّظريةَ السَّابقة للمُتحدِّثِ تُلخِّصُ جميع السِّياقاتِ، لكنَّ نظريتَه العابرة تتطلبُ أنْ يُدركَ المُستمعُ (بالنسبة لنظريته) أنَّ التَّفاعلَ يحصلُ في سياقٍ مُحدَّدٍ. إنَّها حقيقةُ أنَّ المُتحدِّثَ لديه نظريتُه السَّابقةُ (أي ما يفترضُه أنْ يكونَ معنييْن حرفييْن عند المُستمع) لكنْ يستعملُ نظريتَه العابرة (الَّتي تهدفُ إلى أنْ يتعرفَ المُستمعُ على المعنييْن الحرفييْن في سياقٍ **مُختلفٍ**) لخلقِ «تأثير» على المُستمع: بمعنى التَّعرف على المعاني الحرفيةِ في سياقاتٍ جديدةٍ. تنسجمُ النَّظريةُ العابرةُ للمُستمعِ مع نظريتِه السَّابقة في التَّعرفِ على سياقِ الاستعمالِ. هذا ما يُسمِّيه **ديفيدسون** «التأثير» على المُستمع: أي التَّعرف على السِّياق الجديدِ والانسجامِ الفعليِّ للنَّظريةِ، وليس التَّغير في المعنى.

إنَّنا ما زلنا نشكُ قليلاً في التَّحوُّل بينَ النَّظريتيْن السَّابقة والعابرة. فعلى الرَّغم من أنَّنا نريدُ أنْ نقولَ إنَّ المعنييْن الحرفييْن في سياقٍ جديدٍ يخلقانِ «تأثيرا» على المُستمع، وهو تحوُّلٌ بين النَّظريتيْن السَّابقة والعابرة، غير أنَّها لا تزالُ تبدو وكأنَّها تغيرات بين النَّظريتيْن السَّابقة والعابرة إذا لمْ يكنِ المُتحدِّثُ كذلك. يظلُ هدفُنا هو توضيحُ ما يعنيه **ديفيدسون** بكلمةِ «الاستعمال» من خلالِ نظريتيْه السَّابقة والعابرة مع السَّماح لمعنى الاستعارةِ أنْ لا يظلَ سوى معناها الحرفي.

نسقُ القواسم المُشتركة المُرتبطة لماكس بلاك في النَّظريتيْن السَّابقة والعابرة لدونالد ديفيدسون

يُمكنُ أنْ يُوضِّح لنا نسقُ **ماكس بلاك** للقواسم المُشتركة المُرتبطة طريقةً تسمحُ بها الاستعارة بالاحتفاظِ بمعناها الأصلي بين النَّظريتيْن السَّابقة والعابرة. ومن جديدٍ، فإنَّ هذا النسقَ للقواسم المُشتركة المُرتبطة هو كلُّ تلك الارتباطات الشَّائعة في المكانِ الَّذي تتمحورُ عليه الاستعارة (سواءٌ تعلقَ الأمرُ بكلِّ الكلماتِ أو الجزء الَّذي تمَّ اعتبارُه استعارة)، وكلُّ تلك الموجودة في الإطارِ (أي الكلمات أو الجزء المأخوذ على أنَّه حرفي)، يتمُ اختزالُ تينك المُجموعتيْن من القواسم المُشتركة إلى تلك الَّتي تُحملُ على كليْهما فقط: فمحورُ الاستعارةِ يُجبرُ القواسم المشتركة غيرِ المرغوبِ فيها في كليْهما على التلاشي.

تقدِّمُ نظريةُ **ماكس بلاك** تأويلاً مثيراً للاهتمامِ بنظريتي **ديفيدسون** السَّابقة والعابرة. فالنَّظريةُ السَّابقةُ للمُتحدثِ هي ما يتوقعُ أنْ يكونَ مجموعُ القواسم المشتركة العامة للمُستمعين فيما يخصُ كلاً من «جون» و«ذئب». ومع ذلك، فإنَّ نظريتَّه العابرة تسعى إلى أنَّه عند التَّعرفِ على السِّياق الجديدِ لكلمتي «جون» و«ذئب»، فإنَّ المُستمع سوف يهملُ القواسم المشتركة غير ذاتِ الصِّلة. إنَّ لدى المُستمع نفسه مجموعة من القواسم المُشتركة المُرتبطة بكلٍّ من «جون» و«ذئب» كنظريتِه السَّابقة. ومع ذلك، عند الدُّخول في التَّعامل اللُّغوي، ستتلاشى بعضُ القواسم المشتركة وفقاً لكيفيةِ انسجام نظريتِه مع السِّياقِ الجديدِ للكلماتِ. إنَّ الشَّيءَ المُهم الَّذي يجبُ إدراكُه هو أنَّ المعنى أو مجموع القواسم المُشتركة المُرتبطة بـ «جون» و«ذئب» لا **تتغيَّرُ** بين المتحدث والمستمع، سواءٌ تعلقَ الأمرُ بنظريتي المُتحدِّثِ السَّابقة والعابرة أو نظريتي المُستمع السَّابقة والعابرة. هناك بعضُ العناصر تتساقطُ بطبيعةِ الحالِ بسبب السِّياقِ الجديدِ لتجمعهُما معا.

	النظرية السابقة	النظرية العابرة
المتحدث	ما يتوقع أن يكون عليه مجموع القواسم المشتركة العامة للمستمع فيما يخص «جون» و«ذئب».	ينوي السامع التعرف على سياق جديد وتكييف نظريته لجعل تلك القواسم المشتركة غير المرغوب فيها تتلاشى.
المستمع	له قواسم مشتركة مرتبطة بـ «جون» و«ذئب» تم إنشاؤها قبل التفاعل.	يضبط القواسم المشتركة بين «جون» و«ذئب» لتلائم سياق التفاعل.

إنَّ إقحامَ نسقِ **ماكس بلاك** للقواسم المُشتركة المُرتبطة في تصوُّرِ **ديفيدسون** للنَّظريتيْن السَّابقة والعابرة يسمحُ للاستعارةِ بالاحتفاظِ بمعناها الأصليّ مع تقديمِ أكثر دقةٍ لمَا يحصلُ في الاستعارةِ بين المُتحدِّثِ والمُستمعِ. إنَّ «استعمال» **ديفيدسون** هو النَّظريةُ السَّابقة للمُتحدِّثِ (أي المعاني الحرفية) الموضوعةُ في سياقٍ جديدٍ: أي إنَّ نظريتَه العابرة تريدُ أنْ تجتمعَ فيها بعضُ القواسمِ المُشتركةِ وبعضُ القواسم المُشتركة

تتلاشى. وأنَّ «التأثير» على المُستمعِ هو أنَّ بعضَ القواسمِ المُشتركةِ **سوف** تتلاشى لمَّا يُحوّل المُتحدّثُ نظريتَه السَّابقة إلى سياقٍ جديدٍ ممَّا يخلقُ نظريتَه العابرة الجديدة. على الرَّغم من أنَّ المُتحدّثَ ينوي أنْ تتلاشى بعضُ القواسم المشتركة دونَ غيرها، فإنَّه لا يستطيعُ ضمانَ حدوث ذلك- كما قرَّرنا، فإنَّ تأويلَ الاستعارةِ ليس دقيقاً أو محدوداً. ومع ذلك، إلى الحدِّ الَّذي تتلاشى فيه النَّظريتيْن العابرتيْن بين المُتحدّثِ والمُستمعِ في تفاعلٍ لغويّ، أو إلى الحدِّ الَّذي يسمحُ فيه كلٌّ من المُتحدّثِ والمُستمعِ بإسقاطِ نفسِ القواسمِ المُشتركة إلى حدٍّ ما، فإنَّ الاستعارةَ تكونُ ناجحةً.

كل القواسم المشتركة المرتبطة بـ «جون» و«ذئب» (المعاني الحرفية)	السِّياق	المتحدث ينوي أن بعض القواسم المشتركة تتلاشى	**الاستعارة الناجحة**	يجب أن يضبط المستمع بعض القواسم المشتركة لتتلاءم مع السياق	السِّياق	كل القواسم المشتركة المرتبطة بـ «جون» و«ذئب» (المعاني الحرفية)
النظرية السَّابقة للمتحدث	يتقاطعان في	النظرية العابرة للمتحدث		النظرية العابرة للمستمع	يتقاطعان في	النظرية السَّابقة للمستمع

خلاصة

يُمكنُ الاختلافُ الأساسُ بين تصوُّر **ماكس بلاك** للاستعارةِ ووصْفِ **ديفيدسون** في حقيقة أنَّ **ماكس بلاك** ينظرُ إلى اللُّغة في ذاتِها، ويجدُ تحولاً في المعنى، بينما يُبيّن **دونالد ديفيدسون** أنَّ المعنى يظلُ حرفياً، ويجبُ علينا بدلاً من ذلك النَّظر في ما يحصلُ بين المُتحدّثِ والمُستمعِ. لقد عَترنا على حلٍ وسطٍ بين الاثنينِ من خلالِ النَّظرِ إلى نظريتي **ديفيدسون** السَّابقة والعابرة للتأويلِ. فالمُتحدّثُ يستعملُ المعاني الحرفية للكلماتِ في سياقٍ جديدٍ، قاصداً أنَّ بعضَ القواسم المُشتركة تتلاشى، ليكونَ لها تأثيرٌ معينٌ على المُستمعِ. إنَّ هذا التَّأثيرَ يتجلى في أنَّ المُستمعَ يُكيّفُ نظريتَه السَّابقة مع السِّياقِ الجديدِ، تاركاً بعض القواسم المُشتركة تتلاشى. إنَّ المعاني الحرفية لا تتغيرُ بين النَّظرية السَّابقة والنَّظرية العابرة، وإنَّما سياقُ التَّفاعلِ يعملُ على تلك القواسم المشتركة المؤولة في الاستعارة. هكذا، فالاستعارةُ تعتمدُ على المعنييْن الحرفييْن للكلماتِ، لكنَّها تستمدُ قوتَها من خلالِ التَّأثيرِ الَّذي يُحدثُه استعمالُ المُتحدّثِ على المُستمعِ.

لائحة مصادر المقالة المترجمة

Black, Max, How Metaphor Work: A Reply to Donald Davidson. In *Critical Inquiry*, Vol. 6, No. 1, (Autumn, 1979), pp. 131-143.

Black, Max, Models and Metaphor. Ithaca: Cornell University Press, 1962.

Davidson, Donald, A Nice Derangement of Epitaphs. From *The Philosophy of Language*, ed. A. P. Martinich (New York: Oxford University Press, 2001), 1985.

Davidson, Donald. What Metaphor Mean. From *On Metaphor*, ed. Sheldon Sacks (Chicago: The University of Chicago Press, 1978), 1978.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2022

جميع الحقوق محفوظة © 2022